مسئولية الحركة الإسلامية
والخطوط العريضة لترشيدها [1]

إن الفهم الصحيح للإسلام والعمل المستمر الدءوب يحققان للحركة الإسلامية تجنب المزالق التى قد تعترضها .

والكتاب الذى نعرض له اليوم للداعية والمفكر الإسلامى الكبير الدكتور يوسف القرضاوى يتناول : «مسئولية الحركة الإسلامية والخطوط العريضة لترشيدها » .

وقد أكد المؤلف أن مفتاح شخصية الأمة الإسلامية ومفجِّر طاقاتها هو الإيمان باللّه تعالى الذى جعلها من قبل : « خير أُمة أُخرِجت للناس » ، وحقق لها النصر على أعظم الإمبراطوريات رغم قلة عَدَدها وعُدَّتها .

فنحن نملك أعظم عقيدة واكمل رسالة . فما أحوجنا إلى الاستفادة من كل الطاقات الفكرية والبَشرية والاقتصادية ، والعمل الصادق لتجديد الدين وتحكيم شريعته وإحياء الأمة به والعودة به إلى مكانه الطبيعى والتاريخى فى قيادة المجتمع ، وتطبيقه فى كل مجالات الحياة خُلُقاً وسلوكاً ، وفكراً وشعوراً ، واعتقاداً وتعبداً ، وتشريعاً وتوجيهاً ، وقضاءً وتنفيذاً ... فالحركة الإسلامية قبل كل شئ هى دعوة للناس أن يُقوِّموا المعوج ويصلحوا الفساد ويتداركوا ما ضاع .

ويقول المؤلف : « إنه من غير العدل أن نُحمِّل الحركة الإسلامية مسئولية كل ما عليه مسلمو اليوم من تمزق وتخلف هو حصيلة عصور الجمود وعهود الاستعمار وعهود الحكم العثمانى بعد الاستقلال .

---

(١) نشر فى جريدة الأهرام - القاهرية - بتاريخ ١٧ أكتوبر سنة ١٩٨٦

الحركة الإسلامية عليها قدر من المسئولية يوازى ما لديها من أسباب وإمكانات مادية ومعنوية هيأها الله لها .. استخدمت بعضها وأهملت بعضاً آخر ، وأساءت استعمال بعض ثالث » .

حدَّد المؤلف الأسباب الذاتية التى عاقت الحركة الإسلامية عن بلوغ غاياتها فى إقامة المجتمع الإسلامى المنشود واستئناف الحياة الإسلامية القائمة على عقيدة الإسلام وشريعته نوجزها فيما يلى :

أولاً - ضعف النقد الذاتى :

ينبغى للحركة الإسلامية أن تقف بين الحين والحين مع نفسها للتقويم والمراجعة وأن تشجع أبناءها على تقديم النصح وإن كان مراً والنقد وإن كان موجعاً ، فالحركة الإسلامية ليست ملك نفسها بل ملك الأمة الإسلامية كلها وملك الأجيال الإسلامية القادمة ، فمن حقها أن تعرف ما فى هذه الحركة من مواضع القوة وما يؤخذ عليها من نقاط الضعف لتأخذ منها العبرة .. والواجب أن يُفتح باب النقد الذاتى لأهله القادرين عليه .

ثانياً - الانقسام والاختلاف :

من الواجب على قادة الحركة الإسلامية أن يحاولوا التقريب والتوفيق بين الهيئات الإسلامية على اختلاف نزعاتها ، وأن يُبرز العلماء والمفكرون مواضع الاتفاق التى يجب التعاون فيها ، وتقريب شُقَّة الخلاف فى مواضع الاختلاف ، وتخفيف حدَّة الجدل والخروج من هذه الدراسة بورقة عمل أو وثيقة شرف يمكن أن يلتقى الجميع عليها .

ثالثاً - غلبة الاتجاه العاطفى على الاتجاه العقلى والعلمى :

وقد أبرز المؤلف ثلاثة أمور من آثار غلبة العاطفة :

* قصور الدراسة والتخطيط لواقع الأمة والقوى المعادية للإسلام .
* الاستعجال فى خوض معارك قبل أوانها واكبر من طاقاتها .
* المبالغة فى الإعجاب بأنفسنا ونبالغ فى النقد لغيرنا .

رابعاً - الخوف من التجديد :

من نقط الضعف فى الحركة الإسلامية أنها تخاف من الاجتهاد ولا ترحب كثيراً بالتجديد ولا تميل إلى مواكبة التطور .

ويقول المؤلف : « وقد تحدثتُ عن الخطوط العريضة لمستقبل الحركة الإسلامية المنشودة فى فهم الإسلام - فى ملتقى الفكر الإسلامى الثامن عشر بالجزائر (يوليو ١٩٨٤) - وحددتُ المنطلقات العشرين ، والتى اعتبرت بمثابة « ورقة عمل » لتوجيه الحركة الإسلامية ، ويكفينى أن أشير إلى عناوين هذه النقاط ، ولا ريب فى أن كل نقطة منها تحتاج إلى تفصيل ، فلا بد أن تنتقل دائرة الاهتمام والتركيز من الفروع والجزئيات إلى الأصول والكليات ، من النوافل إلى الفرائض ، ومن المختلَف فيه إلى المتفَق عليه ، ومن أعمال الجوارح إلى أعمال القلوب ، ومن طرفى الغلو والتفريط إلى الوَسطية والاعتدال ، ومن التعسير والتنفير إلى التيسير والتبشير ، ومن الجمود والتقليد إلى الاجتهاد والتجديد ، ومن الكلام والجدل إلى العطاء والعمل ، ومن العاطفية والارتجال إلى العلمية والتخطيط ، ومن التعصب على المخالفين فى الرأى إلى التسامح معهم ، ومن الإثارة إلى التفقيه ، ومن الكم إلى الكيف ، ومن سماء الأحلام إلى أرض الواقع ، ومن الاستعلاء على المجتمع إلى المعايشة له ، ومن الانكفاء على الماضى إلى معايشة الحاضر والإعداد للمستقبل ، ومن الاستغراق فى العمل السياسى إلى الاهتمام بالعمل الاجتماعى ، ومن الاختلاف والتشاحن إلى التعاون والتآلف ، ومن إهمال شئون الحياة إلى التعبد بإتقانها ، ومن الإقليمية الضيقة إلى العالَمية الواسعة ، ومن الإعجاب بالنفس إلى محاسبة النفس » .

ويستطرد المؤلف فيقول :

لا بد للحركة الإسلامية أن تحدد لنفسها ميادين للعمل تخدم بها دينها وأمتها ، وألا يستهلك العمل جانباً واحداً فما زال العمل الاجتماعى يحتاج إلى مزيد من العمل والجهد .

وهذا ما دعانا للمناداة بتكوين « الهيئة الخيرية الإسلامية العالَمية » التى تعمل بكل طاقاتها على توفير الغذاء للجائع والكساء للعارى والدواء للمريض والرعاية لليتيم والإيواء للمتشرد والتعليم للجاهل والتشغيل للعاطل والتدريب للعامل والمشاركة الجادة فى تنمية المجتمعات الإسلامية من داخلها » .

● المستقبل يبشر بالخير للحركة الإسلامية :

ويقول المؤلف : « ومما يقوِّى رجاءنا فى المستقبل :

* أن معنا الحق الذى قامت به السموات والأرض ، والقرآن الكريم الذى يحمل الهداية للفرد ، والسكينة للأسرة ، والخير للإنسانية .

* وأن معنا فِطرة الإسلام والتى يرجع إلى حظيرتها كل يوم أعداد غفيرة تهتدى بعد ضلال وتنضم إلى موكب الإسلام .

* وأن معنا شعوب الأمة الإسلامية التى غدا الإسلام لُحمتها وسُداها وأصبح جزءاً لا يتجزأ من كيانها العقلى والنفسى والاجتماعى ، فلا يمكنها أن تعيش وتحقق ذاتها إلا بالإسلام .

* وأن معنا مصلحة الإنسانية التى شقيت بفلسفات البَشر وتشريعات الأرض ، فما عاد يسعدها إلا هداية السماء ، ولا توجد هذه الهداية نقية مصفاة إلا فى رسالة محمد ﷺ التى حفظ اللّه كتابها .

* ومعنا - قبل ذلك كله وبعده - تأييد اللّه تبارك وتعالى الذى وعد بنصر مَنْ ينصره ، وتكفل بأن يظهر دينه على الدين كله ولو كره الكافرون ، وأن يتم نوره وإن كاد له الكائدون » .

* * *

obeikandl.com